تأثيرات إيرانية وتركية على عمارة مدينة طرابلس الشام فى العصر المملوكي

د. محمد محمد مرسى على

مدرس الآثار والفنون الإسلامية، قسم الآثار والحضارة، كلية الآداب، جامعة حلوان.

مقدمة:

مدينة طرابلس واحدة من المدن الساحلية الشامية التى وقعت تحت وطأة حكم الصليبيين لفترة من الزمان، وبعدما رحل عنها الصليبيون بعد انتصار السلطان المنصور قلاوون تهدمت المدينة القديمة، وشُيدت بدلا منها مدينة جديدة على مسافة كيلومترين، ومع تهدم المدينة القديمة اندثرت معظم المنشآت المعمارية التى تعود إلى عصور سابقة، ولم يتبق أي إرث معمارى يستند إليه المعماريون فى تشييد عمائرهم، وأدى ذلك إلى فتح المجال فى العصر المملوكي لظهور طابع معماري جديد للمدينة يعتمد في تكوينه على التأثيرات المختلفة الوافدة عليها، سواء من شرق العالم الإسلامي أو غربه، أو حتى من التأثيرات القريبة منه والمتمثلة في المدن الشامية المحيطة.

وتهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة بعض التأثيرات الإيرانية والتركية على عمارة مدينة طرابلس المملوكية من خلال توضيح ماهية هذه التأثيرات، وطرق انتقالها إلى مدينة طرابلس، ومحاولة معرفة السبب وراء ظهورها، وهل كان ذلك نتيجة تأثر مباشر بشرق العالم الإسلامى أم بشكل غير مباشر عبر المدن الشامية المحيطة بها مثل دمشق وحلب وغيرها، أو عن طريق مدينة القاهرة عاصمة الدولة المملوكية والتى كانت طرابلس تابعة لها فى تلك الفترة.

مدينة طرابلس فى العصر المملوكي:

ظلت مدينة طرابلس الشام تحت الحكم الصليبي ما يقرب من قرنيين من الزمان حتى استعادها السلطان المنصور قلاوون سنة 688هـ/ 1289م، وكانت أولى محاولات المماليك لإستعادة طرابلس من الصليبيين على يد السلطان الظاهر بيبرس، الذى هاجمها فى شعبان سنة 664هـ/ 1266م ولكنها استعصت عليه، فهاجم القلاع المحيطة بها ومنها قلعة طرابلس واستولى عليها، ثم عاود الهجوم على المدينة فى شعبان سنة 666هـ/ 1268م وفي رجب 669هـ/ 1271م وزحف منها إلى حصن الأكراد[1] حتى دخله، وفى شهر رمضان من نفس

DOI:10.12816/0038044

[1]. حصن الأكراد: هو حصن منيع حصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان، وهو بين بعلبك وحمص، وكان بعض أمراء الشام قد بنى موضعه برجاً واسكنه جماعة من الأكراد فحصنوها إلى ان صارت قلعة حصينة تحميهم من هجمات الأفرنج؛ ياقوت الحموى، معجم البلدان، الجزء الثانى، دار صادر – بيروت، 1977م، ص 264.

العام استولى على حصن عكار[2]، وبذلك أصبح الطريق إلى طرابلس مفتوحا بسقوط جميع الحصون المحيطة بها، وأمام تهديدات التتار وما أشيع عن نزول الحملة الصليبية السابعة على ساحل عكا تم الصلح بينه وبين بوهمند[3].

وفى بداية سنة 688هـ/ 1289م اتجه السلطان المنصور قلاوون بالجيوش المصرية إلى دمشق فدخلها، ثم سار بهم وجيش دمشق حتى وصلوا طرابلس فحاصروها بالمنجنيق حصاراً شديداً[4]، وأحكم الحصار حولها وبدأ يرمي الأسوار بالمنجنيق حتى هُدمت، وظل السلطان قلاوون على حصاره لها أربعة وثلاثين يوما تهدم خلالها برج الأسقف وبرج الاسبتارية الجديد مع السور الممتد بينهما، حتى هرب عدد كبير من المدافعين عنها إلى المينا وركبوا السفن إلى قبرص، فى حين فرّ سكان طرابلس إلى جزيرةٍ قريبة من الساحل[5]، ودخلت جيوش السلطان الى المدينة فى4 ربيع الآخر سنة 688هـ/ 26 أبريل 1289م، فأمر السلطان بمدينة طرابلس فهدمت وأمر بتعمير مدينة أخرى بجوار النهر فصارت مدينة جليلة وهى التى تعرف اليوم بطرابلس[6].

موقع مدينة طرابلس (لوحة1):

أمر السلطان قلاوون بعد دخوله طرابلس أن تُهدم المدينة القديمة بما فيها من العمائر والدور والأسواق، وأن تُبنى على بعد ميل منها مدينة غيرها، وذلك حتى تتجنب المدينة الجديدة الأضرار التى يمكن أن تقع عليها من غارات الصليبيين الذين تكتلوا بعد ذلك فى عكا وقبرص[7]، وكانت مدينة طرابلس القديمة التى هدمها السلطان المنصور قلاوون تحتل الموضع الذى تقوم عليه اليوم طرابلس المينا، وشُيدت المدينة بحيث تكون حصينة يحيط بها البحر من ثلاثة جوانب، أما الجانب الرابع فحُفر فيه خندق عظيم عليه باب حديد محكم، ومن الجانب الشرقى للمدينة قلعة من الحجر المصقول[8]. وحينما أمر السلطان قلاوون ببناء المدينة الجديدة شُيدت على ذيل

---

[2]. حصن عكار: بإضافة حصن إلى عكار، هى قلعة بالقرب من طرابلس فى جهة الشرق بوسط جبل لبنان فى واد والجبل محيط بها؛ أبى العباس أحمد القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، الجزء الرابع، المطبعة الأميرية- القاهرة، 1922م، ص 144.

[3]. السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية- مصر، 1966م، ص 266-270.

[4]. ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد السابع عشر، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركى، مركز البحوث والدرسات العربية، دار هجر، الطبعة الأولى، 1997م، ص 616.

[5]. السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص 290.

[6]. المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1997م، ص211.

[7]. إبراهيم محمد أبو طاحون، المدارس المملوكية فى طرابلس الشام وتطورها، دراسة معمارية أثرية، مخطوط رسالة ماجستير- غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، 1996م، ص 25.

[8]. ناصر خسرو، سفر نامه، ترجمة/ يحيى الخشاب، الألف كتاب الثانية 122، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1993م، ص 58.

من أذيال جبل لبنان على شاطئ نهر ينبع من جبال لبنان ويصب فى البحر[9] يطلق عليه نهر قادش، ويقع الوادى الذى شيدت فيه مدينة طرابلس الجديدة أسفل قلعة طرابلس ويطلق عليه "وادي نهر قاديشا".

مظاهر عمران المدينة فى العصر المملوكي (لوحة2):

حرص نواب طرابلس فى العصر المملوكي على إعمار المدينة الجديدة وتشييد العمائر بها، فيذكر النابلسي فى رحلته المسماة التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية منذ ما يقرب من ثلاثة قرون: "أن ببلدة طرابلس المحمية مدارس وزوايا ومساجد لاتُعد ولاتُحصى وأنه كان بها حوالي ثلاثمائة وستون مدرسة"، إلا أن عدداً كبيراً من هذه المنشآت هُدم أو دُمر بعد ذلك، ولم يصلنا من العصر المملوكي سوى ستة مساجد ومايقرب من خمس عشرة مدرسة وحمامان وسبيل، بالإضافة إلى عدد من الخانات والأسواق وقلعة طرابلس التي أعيد بناؤها مرة أخرى فى عصر الدولة المملوكية.

بدأ النشاط المعماري فى المدينة منذ نهاية القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادي، الذى شيد فيه عدد من المنشآت، ففى عام 693هـ/ 1294م شُيد الجامع المنصوري الكبير بأمر من السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، وخلال حكم نائب السلطنة الأمير عز الدين أيبك الموصلي (694- 698هـ/ 1295- 1299م) أمر ببناء عدد من المنشآت منها المدرسة الزريقية 697هـ/ 1298م، والتى هدمت مع فيضان نهر قاديش عام 1955م، وحمام عز الدين 698هـ/ 1298م، أُلحِقَ به مدفنه وقصر خاص به[10]، ولم يتبق الآن سوى الحمام والمدفن فقط.

وشهد القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادي نهضة معمارية وخصوصاً فى الولاية الثانية للأمير أسندمر الكرجي التى استمرت تسع سنوات (700- 709هـ/ 1300- 1309م)، فقد بنى حمام وخان وسويقة وطاحون بالإضافة إلى تشييد جامع الشيخ عبد الواحد المكناسي 705هـ/ 1305م، ومدرسة القاضي شمس الدين 707هـ/ 1307م والمعروفة بالمدرسة الشمسية، واستمرت النهضة المعمارية بعد الأمير اسندمر فشيد الأمير شهاب الدين قرطاي (716-726هـ/ 1316- 1325م) المدرسة القرطائية، كما شيدت المدرسة الخيرية حُسن (716-1316م)، والمدرسة البرطاسية قبل عام 725هـ/ 1324م، وجامع التوبة، وحمام القاضي، وجامع العطار (735هـ/ 1334م)، وجامع طينال(736هـ/1335م)، والمدرسة السقرقية (760هـ/ 1358م)، والمدرسة الخاتونية (775هـ/ 1373م) وغيرها من المنشآت التى تدل على النهضة المعمارية فى هذا القرن[11].

---

[9]. Dimashqī, *Kitāb Nukhbat al-dahrfī ʻajā'ib al-barrwa al-bahr*, Leipzig: Harassowitz, 1923, p. 207.

[10]. Tadmouri, O. AS, The Plans of Tripoli Alsham and Its Mamluk Architecture, ARAM, 9-10 (1997-1998), p. 472.

[11]. إبراهيم محمد أبو طاحون، المنشآت المدنية والعسكرية المملوكية فى مدينة طرابلس الشام، مخطوط رسالة دكتوراة- غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، 2000م، ص 20- 23.

وفى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بُنيت عدة منشآت مثل زاوية أرغون شاه، وسبيل التينة (816هـ/ 1413م)، والمدرسة الطواشية وخانقاة الست صالحة (883هـ/ 1478م)، وخان العسكر وخان الصابون ومسجد الدباغين والمدرسة الرفاعية ومدرسة المشهد، بالإضافة إلى بناء عدد من المنشآت الدفاعية من البوابات والأبراج والأسوار التى تحيط بمدينة طرابلس، ومن أشهر الأبراج التى شيدت برج رأس النهر وبرج السباع وبرج المغاربة[12].

طرق انتقال التأثيرات لمدينة طرابلس:

تأثرت عمارة مدينة طرابلس بعمارة بعض الدول المجاورة لها، مثل العمارة الإيرانية التى تظهر سماتها المعمارية خلال الفترة السلجوقية على عمارة مدينة طرابلس، بالإضافة إلى التأثر بالعمارة التركية ببلاد الأناضول والتى ظهرت عناصرها أيضاً بها، وقد تعددت طرق انتقال هذه التأثيرات من إيران وتركيا، مثل هجرة الفنانيين والصناع أو عن طريق التجارة أو غيرها من الطرق الأخرى التى يمكن تقسيمها إلى:

1- الطرق غير المباشرة لانتقال التأثيرات إلى مدينة طرابلس من مدن الشام الأخرى التى وقعت تحت حكم السلاجقة لفترة من الزمان، حيث أنه بعد أن حكم السلاجقة خراسان واتخذوها مقراً لامبراطوريتهم سيطروا على العراق ومن بعدها الشام والأناضول[13]، ولا شك أن توحُّد سوريا والعراق وإيران تحت الحكم السلجوقي كان له دور كبير فى انتقال الطرق المعمارية والفنية فيما بينهم، حيث سمح التوحد السياسى بالتبادل المستمر للعمال والحرفين جنباً إلى جنب مع حركة الأشخاص على طريق التجارة والحج، أدى ذلك إلى انتقال الأفكار والتصاميم والتأثيرات المعمارية والفنية عبر الأراضي المختلفة[14]، وقد شيدت فى العهد السلجوقي عدة منشآت ببلاد الشام خاصة فى عهد نور الدين محمود تظهر فيها التأثيرات المعمارية السلجوقية مثل قلعة دمشق، المدرسة الأمينية بدمشق، حمام نور الدين بدمشق، بيمارستان نور الدين بدمشق، المدرسة الشرفية بحلب، المدرسة المقدمية بحلب، جامع نور الدين بحماه[15] وغيرها من العمائر التى ساعدت على اندماج العناصر المعمارية السلجوقية مع مثيلتها السورية وانتقالها إلى مدينة طرابلس فى العصر المملوكي على أيدي المعماريين والفنانيين السوريين الذين وردت أسماؤهم على عمائر طرابلس مثل سالم الصهيوني ابن ناصر الدين العجمي من مدينة صهيون بحمص

---

[12]. للمزيد عن عمائر مدينة طرابلس فى العصر المملوكي انظر: السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص 400- 456؛ عمر عبد السلام تدمرى، تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس فى عصر المماليك، طبعة دار البلاد للطباعة والإعلام- طرابلس، 1974م، ص 242-57؛ Salam, H., The Architecture of the Mamluk City of Tripoli, Cambridge, Massachusetts, 1983, pp.15-205؛ Jidejian, N.,Tripoly Through The Ages, Beirut, 1986,pp.75- 97.؛ إبراهيم أبو طاحون، المدارس المملوكية، ص 43-101؛ إبراهيم أبو طاحون، المنشآت المدنية والعسكرية، ص 30- 238.

[13]. عبد القادر الريحاوى، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها فى سورية، دار البشائر- دمشق، الطبعة الأولى، 1999م، ص 112- 125.

[14]. Camilla Edward & David Edward, The evolution of the shouldered Arch in Medieval Islamic Architecture, Architectural History, Vol. 42 (1999), pp.75f.

[15]. عبد القادر الريحاوى، العمارة العربية الإسلامية ، ص 112- 125.

وهو المشرف على بناء الجامع المنصوري الكبير، وأبو بكر بن البصيص البعلبكي من مدينة بعلبك وهو المهندس المشرف على بناء جامع العطار، والمعلم محمد الصفدي من مدينة صفد وهو نجار جامع طينال.

2- بعد القضاء على الدولة السلجوقية ببلاد الأناضول فى نهاية القرن السابع الهجرى/ الثالثى عشر الميلادى، وجد فنانو السلاجقة طريقهم إلى بلاد الشام وخصوصاً شمال الشام نظراً لتجاورهم المكاني، وتعد مدينة ديار بكر من المدن المهمة فى انتقال التأثيرات التركية إلى بلاد الشام حيث كانت حلقة اتصال بينهم، وظهر العديد من الأساليب المعمارية الفنية التركية بمدينة ديار بكر، لتظهر بعد ذلك بمدن الشام كأكبر دليل على ذلك[16]، وقد ظهرت بمدينة طرابلس بعض هذه التأثيرات التى عبرت من خلال ديار بكر مثل المحاريب ذات الطاقية المحارية المُشعة.

3- بسبب اجتياح المغول لإيران زادت هجرة الفنانيين والصناع من شرق العالم الإسلامى إلى الشام ومصر[17]، فهدمت الكثير من العمائر وكسدت صناعة البناء فى الأقطار التى وصلوها، مما أدى إلى هروب عدد كثير منهم إلى الأقطار الإسلامية[18]، ويظهر ذلك فيما أورده المقريزى "فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التترى منذ كان جنكز خان فى أعوام بضع عشر وستمائة إلى قتل الخليفة المستعصم ببغداد فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة"، كثر قدوم المشارقة إلى مصر"[19].

بالإضافة إلى انتقال الصناع بسبب الاجتياح التترى، كان هناك سبب أخر وهو استدعاء المهرة من الفنانيين وأصحاب الصناعات والحرف الممتازين منهم للمشاركة فى النهضة المعمارية والفنية التى حدثت خلال العصر المملوكي، والأمثلة على ذلك كثيرة فقد أرسل السلاطين كتبغا والناصر محمد والسلطان حسن والأمير قوصون فى طلب المهندسيين والحرفيين للعمل فى منشآتهم، الأمر الذى ساعد على ظهور التأثيرات الإيرانية فى الشام خلال العصر المملوكي[20].

4- أصل المماليك: يعتبر أمراءالمماليك أنفسهم وسيلة هامة من وسائل نقل التأثيرات إلى الشام خلال الفترة من القرن (10-7هـ/ 13-16م) حيث انتقلت التأثيرات إلى الشام من خلال الطبقة الحاكمة فيها[21]، حيث أن العناصر المملوكية التى حكمت الشام كانت من أجناس الترك والقفجاق الذين ينزلون ببلاد إيران، وكانت بلاد

---

[16] . J. M. Rogers, Seljuk Influence o Monuments of Cairo, Kunst des Orients, Vol.7. H.1 (1970/71), pp. 41- 45.

[17]. منى محمد بدر، أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، الجزء الأول "الحضارة"، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، 2002م، ص164.

[18]. زكى محمد حسن، الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، مطبعة دار الكتب المصرية، 1940م، ص 29.

[19]. المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1987م، ص 364-365.

[20]. حسام طنطاوى، التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين مصر وإيران، مخطوط رسالة دكتوراة- غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس، 2010م، ص 59.

[21]. منى محمد بدر، أثر الحضارة السلجوقية، الجزء الأول "الحضارة"، 155.

إيران منذ عهد هولاكو فصاعدا همزة وصل ما بين العالم الإسلامى فى غرب ووسط آسيا والصين، حيث تردد المتحضرون الصينيون والايرانيون إلى بلديهما فاختلط الفريقان ونتج عن ذلك أن تعلم كل منهما علوم الآخر وفنونه، فنفذت العمارة الإسلامية والسلجوقية عن طريق الإيرانيين إلى الصين وكذلك المعمار الصينى إلى البلاد الإسلامية[22]، وقد تولى ولاية طرابلس فى العصر المملوكي عدد من النواب ذوي الأصول التركية مثل الأمير قرطـاي (716- 726هـ/ 1316-1326م) والأميـر طينـال (726- 733هـ/ 1326- 1333م) (735- 741هـ/ 1335- 1341م) وغيرهم، بالإضافة إلى الولاة حيث توضح المصادر أن طرابلس سكن بها عدد من أمراء الأتراك والتركمان، فيذكر ابن بطوطه أنه خلال زيارته لطرابلس كان بها نحو أربعون من أمراء الأتراك[23]، كما أوردت المصادر بأن طرابلس كان يسكنها عدد من التركمان الذين ظهروا فيها منذ عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون[24].

5- التجارة: كانت طرابلس ميناء واسعاً يتسع لعدد من السفن، ويذكر الرحالة ناصر خسرو أنها كانت قاعده تجارية فى البحر المتوسط تصل إليها السفن من مختلف الأقطار للتجارة، كما يؤكد الإدريسى على أنها مدينة عظيمة والوارد والصادر منها كثير، ومنذ أن تلاشى أمر عكا وصور وأنطاكيا وجبيل والبترون كقواعد تجارية للصليبيين تركزت النشاطات التجارية فى الشام فى عصر المماليك فى ثلاث مدن ساحلية وهى بيروت وطرابلس واللاذقية[25]، ولعل ما شُيد من خانات وفنادق وأسواق وقياسر خير دليل على الازدهار التجارى الذي شهدته المدينة، الأمر الذي انعكس إيجاباً على انتقال بعض التاثيرات عن طريق التجارة المتبادلة.

[22]. عباس إقبال اشتيانى، تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ترجمة/ محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة والنشر والتوزيع- القاهرة، 1989م، ص 587.

[23]. ابن بطوطه، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الجزء الأول، المطبعة الخيرية- القاهرة، 1322هـ، ص 44.

[24]. السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص 359.

[25]. السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص 383.

أهم التأثيرات المعمارية الإيرانية والتركية بعمارة طرابلس:

تعددت العناصر المعمارية والزخرفية التى ظهرت بعمارة مدينة طرابلس والتى تعود أصولها إلى إيران وتركيا، ومنها عمارة المدرسة، الجشمة، القباب، الأقبية، المحاريب، والخط الكوفي الهندسي.

أولا: العناصر المعمارية والفنية الإيرانية: تأثرت عمارة طرابلس بالعديد من العناصر المعمارية والفنية الإيرانية ومن أهمها:

1- عمارة المدرسة:

يذكر المقريزي أن أول من بنى المدرسة فى الإسلام أهل نيسابور وه] المدرسة البيهقية فى بداية القرن الخامس من الهجرة / الحادى عشر الميلادي[26]، وقد ظلت هذه المدارس عمائر محلية فى نيسابور حتى بعثت من جديد على يد الوزير العباسي نظام الملك[27] الذى أنشأ الكثير من المدارس فى منتصف القرن الخامس الهجري فى نيسابور وبغداد وطوس وبصرة وأصفهان وهرات والبلخ، وقد سار على نهجه كثير ممن خلفوه من السلاجقة حتى انتشرت المدارس فى كل الولايات السلجوقية[28].

وقد اهتم الأتابكة فى بلاد الشام ببناء المدارس أيضاً فبنى نور الدين محمود الأتابكي عدة مدارس فى حلب وحماه وحمص ودمشق وغيرها[29]، فيذكر ابن جبير أنه شاهد فى دمشق عشرين مدرسة، وفى حلب ست مدارس، وفى الموصل ست مدارس أيضاً، وفى بغداد ثلاثين مدرسة وكان ذلك فى أوائل سنة 580هـ (1184-1185م). وقيل أنه أنشئ أثناء العصر الأيوبي خمسون مدرسة فى دمشق، واثنتان وعشرون مدرسة فى حلب[30].

أما عن مدينة طرابلس فلم تنتشر فيها المدارس فى تلك الفترة نظراً لسقوطها فى يد الصليبيين منذ سنة 502هـ/ 1109م، وظلت خاضعة لهم حتى استعادها السلطان المنصور قلاوون عام 688هـ/ 1289م، ومنذ ذلك الوقت انتشر فى مدينة طرابلس بناء المدارس الذى يرجع بعض الباحثين أن الهدف منها كان تدعيم المذهب

---

[26]. المقريزى، الخطط، الجزء الثاني، ص 363.

[27]. الوزير نظام الملك: هو أبو الحسن بن على ابن اسحق بن العباس، ولد عام 408هـ/ 1018م فى بلدة صغيرة تدعى نوكان، من ضواحي طوس ولذلك لقب بالطوسي، عمل كاتباً عند جفري بك داود السلطان الب أرسلان، وأظهر الأمانة والشجاعة مما حدا السلطان أن يمنحه لقب نظام الملك سنة 456هـ/ 1063، وقد اهتم نظام الملك بشئون التعليم فأسس المدارس النظامية ببغداد التى عرفت باسمه سنة 459هـ/ 1066م، وقد بلغت تكاليف إنشاء نظامية بغداد ما يقارب ستين ألف درهم. محمد احمد هربود حمد العيساوى، المدارس النظامية فى بغداد ودورها فى الفكر العربى الإسلامى، مجلة سُرَّ من رأى، المجلد السابع، العدد 24، يناير 2011م، ص 157-158.

[28]. سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، الجزء الأول، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1971م، ص19.

[29]. فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م، ص 248.

[30]. أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثانى (العصر الأيوبى)، دار المعارف- مصر، 1969م، ص153.

السني والقضاء على المذهب الشيعي وأتباعه فى تلك المنطقة، بعد أن تم القضاء على فرق الإسماعيلية[31] والنصيرية[32] بالإستيلاء على أماكنهم وإخضاعهم إلى السيادة المملوكية منذ أيام السلطان الظاهر بيبرس فى الفترة بين عامي (669- 671هـ/ 1270- 1272م)[33]، وظهر حرص سلاطين المماليك ونوابهم على إنشاء المدارس فيما ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي أثناء رحلته إلى مدينة طرابلس أن بها 360مدرسة[34]، وهذه المدارس لم تكن كلها من إنشاء السلاطين والأمراء المماليك، بل ساهم فى إنشائها القادرون من أهل الخير من رجال ونساء مثل المدرسة البرطاسية، ومدرسة الخيرية حُسن، والمدرسة العجمية[35].

وتعد المدرسة الزريقية التى شيدها الأمير عز الدين أيبك الموصلي نائب السلطنة بطرابلس عام 697هـ/ 1298م، أقدم مدرسة شيدت بالمدينة وقد هُدمت بعد فيضان نهر أبى عام 1955م، وعلى أثر تشييد هذه المدرسة تم بناء العديد من المدارس والتى تبقى منها الآن ما يقرب من خمس عشرة مدرسة مثل مدرسة القاضي شمس الدين 707هـ/ 1307م والمعروفة بالمدرسة الشمسية، المدرسة القرطائية (716-726هـ/

31 . الإسماعيلية: فرقة شيعية تنسب إلى إسماعيل، الإبن الأكبر لجعفر الصادق، وقد تفرعت هذه الطائفة من الشيعة الإمامية بعد موت جعفر الصادق عام 148هـ، إذ أن من تسموا بالإسماعيلية لم يعترفوا بإمامة موسى الكاظم، الإمام السابع للطائفة الإثنا عشرية، وساقو الإمامة بدلاً عنه إلى اسماعيل أو إبنه محمد، وقد تفرعت الإسماعيلية إلى العديد من الفرق أشهرهم الإسماعيلية النزارية أو الحشاشون التى لعبت دوراً سياسياً فى إيران والهند والشام، وقد تكونت هذه الفرقة على يد الحسن بن الصباح الذى سافر إلى فارس كداعية إسماعيلى، ولما علم بما أحدثه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بنقل الإمامة إلى المستعلى بدلا من نزار، انتصر الحسن بن الصباح لنزار وأصبح يدعو له ولأولاده حتى استطاع أن يستولى على قلعة "ألموت" عام 483هـ جنوب بحر قزوين، وأقام فيها العديد من الحصون، وأسس بذلك الإسماعيلية الشرقية التى عرفت في التاريخ بأسماء عديدة مثل الإسماعيلية النزارية، الباطنية، السبعية التعليمية والحشاشين، وقد انتقل بعضهم إلى بلاد الشام ودخلوا فى صراع مع سكان الشام ودمشق وحلب وما جاورهما، وعلى الرغم من محاولتهم اغتيال صلاح الدين الأيوبى إلا أن صلاح الدين استطاع أن يستفيد منهم فى حروبه مع الصليبيين، وكان موقفهم فى سوريا طوال الحروب الصليبية تمليه الاعتبارات السياسية الخاصة بالطائفة دون اعتبار للغيرة الإسلامية، وظل أمر الإسماعيلية بالشام يضعف تارة ويقوى أخرى إلى أن استسلمت آخر حصونهم للظاهر بيبرس عام 671هـ. أحمد محمد أحمد جلى، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، 1986م، ص 193- 239.

32. النصيرية: يدعي النصيرية الانتماء إلى الشيعة الإثنى عشرية، ولكنهم فى واقع الأمر يعدون من غلاة الشيعة الباطنية الذين تبنوا آراء منحرفة وعقائد باطلة انتهت بهم إلى الخروج من الإسلام، ويرجح المؤرخون إلى أن ابن نصير مؤسس هذه الفرقة هو أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري، الذى كان مولى أو من أصحاب الحسن العسكرى الإمام الحادى عشر للشيعة الإمامية الاثنا عشرية، ويقال انه لما مات الحسن ادعى ابن النصير أنه وكيل لابن الحسن محمد أو الباب له، ثم ادعى أنه رسول الله وأنه نبى من قبل الله تعالى الى أن هلك عام 260هـ، كان للنصيرية مركزان الأول بحلب والثانى ببغداد، وكانت النصيرية دائما فى تحالف مع أعداء الإسلام، فقد استظهروا بالصليبيين ضد المسلمين ودخل بعضهم فى صفوفهم وخدمتهم، وبسبب عمالتهم وخيانتهم استولى الصليبييون على سواحل الشام والقدس وغيرها من بلاد الشام. أحمد محمد احمد جلى، دراسة عن الفرق، ص 243- 258.

33. سليمان عبد العبد الله الخرابشة، مملكة طرابلس فى العهد المملوكى، مخطوط رسالة ماجستير- غير منشورة، كلية الآداب- الجامعة الأردنية، 1985م، ص 271.

34. عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى، التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية، حققه/ هربيرت بوسه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ، ص 72.

35. إبراهيم محمد أبو طاحون، المدارس المملوكية، ص 35.

1316- 1325م) ، مدرسة الخيرية حُسن 716-1316م، المدرسة البرطاسية قبل 725هـ/ 1324م، المدرسة السقرقية 760هـ/ 1358م، والمدرسة الخاتونية 775هـ/ 1373م.

2- التخطيط:

تنوعت تخطيطات المساجد والمدارس بمدينة طرابلس الشام فى العصر المملوكى، انحصر تخطيط المدارس فى ثلاثة أنواع رئيسة هى التخطيط ذو الإيوانات حول صحن سماوى أو دورقاعة، التخطيط ذو الأروقة حول صحن سماوى، والتخطيط ذو الإيوان دون صحن أو دورقاعة، بالإضافة إلى تنوع عدد الإيوانات التى تتضمنها المدرسة ما بين إيوان واحد أو إيوانين أو ثلاثة[36]. أما المساجد فتنوعت التخطيطات ما بين التخطيط ذي الصحن المكشوف تحيط به أربع ظلات، والتخطيط ذي الدورقاعة تعلوها قبة وتحيط بها أربع إيوانات[37]، وقد ظهرت التأثيرات الإيرانية بشكل واضح فى تخطيط إيوان القبلة.

تخطيط إيوان القبلة

كان لظلة القبلة فى بعض المساجد الإيرانية تخطيط ثلاثي يتكون من مساحة وسطى تمثل مقصورة مغطاة بقبة وعلى جانبيها مساحتان تشبهان الإيوانات المفتوحة على المقصورة، ومن أمثلة ذلك ظلة القبلة فى جامع المحمدية (لوحة 3) الذى ينسب إلى العصر السلجوقي، وتتكون من قاعة مغطاة بقبة يكتنفها من الجانبين إيوانان، ومسجد الجمعة في قُم الذى ينسب إيوان القبلة فيه إلى عهد السلطان سنجر السلجوقي (511- 552هـ/ 1117- 1157م) وتتكون ظلة القبلة من إيوان خلفه قبة المقصورة ويحيط بها من الجانبين إيوانان[38].

وانتقل هذا التخطيط إلى الشام فى النصف الأول من القرن السابع الهجري فظهر بتخطيط ظلة القبلة بالمدرسة الركنية 621/ 1224-1225م بدمشق[39]، وانتقل هذا التخطيط إلى مدينة طرابلس فى العصر المملوكي فظهر بالمدرسة القرطائية (726-716هـ/ 1316- 1325م)، حيث قسم المعمار منطقة إيوان القبلة إلى ثلاثة مناطق، حيث تعلو مربع المحراب قبة بيضاوية الشكل غير كاملة الاستدارة، يحيط بها على الجانبين قبوان متقاطعان، كما ظهر بتخطيط إيوان القبلة بالمدرسة البرطاسية (لوحة 4) قبل عام 725هـ/ 1324م فقسم الإيوان إلى ثلاثة مناطق تعلو المحراب قبة نصف دائرية ويحيط بها على الجانبين قبوان متقاطعان[40].

---

[36]. ابراهيم محمد أبو طاحون، المدارس المملوكية، ص 101.

[37]. ابراهيم محمد أبو طاحون، السمات المعمارية لمساجد عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمدينة طرابلس الشام، كتاب المؤتمر السادس عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب، شرم الشيخ، 2013م، ص522.

[38]. حسام طنطاوى، التأثيرات المعمارية والفنية، ص 191.

[39]. Michael Meinecke, Die Mamlukische Architektur in Agypten und Syrien,Tefil.I,Verlag J.J. AugustinGmbh. Gluckstadt, 1992, P. 77, Abb. 59.

[40]. إبراهيم محمد أبو طاحون، المدارس المملوكية، ص 58- 65- 66.

3- القباب:

لعبت القبة كعنصر من عناصر العمارة، دوراً هاماً فى زخرفة وتصميم العمائر والمنشئات فى جميع الدول الإسلامية، واتخذت فى كل دولة طابعاً يميزها ويحدد تاريخ إنشائها[41]، وقد تنوعت قباب مدينة طرابلس وظهرت بعض التأثيرات بها خصوصاً بقبة ضريح جامع عبد الواحد المكناسي التى نفذت على هيئة القباب الإيرانية المتراكبة المزدوجة الغطاء.

القبة المتراكبة المزدوجة الغطاء

نجح المعماريون الإيرانيون فى تطوير نوع جديد من القباب الإسلامية وهى القباب المزدوجة، وهى عبارة عن قبة ذات طبقتين منفصلتين تماماً، فى بعض الأحيان كانت الطبقة الخارجية ليست لها وظيفة معمارية سوى عزل الطبقة الرئيسة عن الأحوال الجوية الخارجية بالإضافة إلى استخدامها فى التزيين[42].

وتمثل هذا النوع من القباب فى كنبد قابوس 397هـ/ 1006م وبرج رزكت (رسكت) وبرج لاجيم فى أوائل القرن 5هـ/ 11م، وقبة مسجد يزد القرن 4هـ/ 10م، وقبة جامع كلبايكان (498- 512هـ/ 1104- 1118) (لوحة 5)، وقبة ومقبرة السلطان سنجر فى مرو 552هـ/ 1157م (لوحة 6)[43]، وهى القبة التى ذكرها ياقوت الحموي وقال إنه يمكن رؤيتها من مسيرة يومين، وذلك يرجع لارتفاع القبة، وقد انتشر طراز هذه القبة بعد ذلك فى بلاد الأناضول واستخدمها سلاجقة الروم فى معظم منشآتهم المعمارية[44].

ويظهر هذا النوع من القباب بضريح جامع عبد الواحد المكناسي بمدينة طرابلس 705هـ/ 1305م، حيث يغطي الضريح قبة مزدوجة مفصصة من الخارج (لوحة 7)، وملساء من الداخل (لوحة 8)، وهذه القبة مقامة على رقبتين، الأولى بها دخلات ضحلة معقودة بعقود نصف دائرية، فتحت بإحدى هذه الدخلات نافذة مسدودة حالياً، وباقى الدخلات صماء، يعلو ذلك الرقبة الثانية ويفتح بها ثماني نوافذ معقودة بعقود نصف دائرية من الداخل ومستطيلة من الخارج، وتحصر فيما بينها ثماني دخلات معقودة صماء، ويعلو ذلك خوذة القبة السابق ذكرها[45].

---

[41]. كمال الدين سامح، تطور القبة فى العمارة الإسلامية، مجلة كلية الآداب- جامعة فؤاد الأول، المجلد الثانى عشر- الجزء الأول، مايو 1950م، ص 1.

[42]. D. H. Gye, Arch and Dome in Iranian Buildings: An Engineer's Perspective, Iran, Vol. 26 (1988), p.143.

[43]. حسام طنطاوى، التأثيرات المعمارية والفنية، ص 211.

[44]. هالة محمد أحمد، عمائر مدينة قيصري إبان عصر سلاجقة الروم، مخطوط رسالة دكتوراة- غير منشورة، كلية الآداب- جامعة حلوان، 2015م، ص 369.

[45]. ابراهيم محمد أبو طاحون، السمات المعمارية، 533.

4- العقود:

ظهرت أنواع عقود عديدة بعمائر مدينة طرابلس فى العصر المملوكي كالعقد المدبب الذى ظهر فى العديد من المنشآت، والعقد النصف دائري بجامع طينال، والعقد حدوة الفرس، والعقد العاتق، والعقد الثلاثي (المدائنى)[46].

العقد الثلاثي (المدائني)

يقصد به عقد من ثلاثة فصوص، ويتكون من نصف عقد من الجانبين يتوجه عقد مدبب من أعلى، ويرد فى الوثائق باسم "عقد مدائني" نسبة إلى مدائن كسرى[47]، وقد عرف هذا العقد فى الفن الساساني واستعمل فى العمائر الإسلامية المبكرة التى ترجع إلى القرن 2-3هـ/ 8-9م، وزينت به الواجهات الخارجية لبوابة بغداد بمدينة الرقة 155هـ/ 772م. ويتكون من ثلاثة فصوص تعلو الحنيات المجوفة التى تزخرف أعلى الجدران بالواجهة، كما استخدم فيما بعد فى زخرفة الجامع الكبير بسامراء 234- 237هـ/ 848- 850م وكلها استعمالات زخرفية لم يقم العقد خلالها بوظيفة إنشائية[48].

وقد ظهر أيضاً فى مناطق انتقال القباب الإيرانية منذ القرن 5هـ/ 11م، ومن أقدم أمثلته قبة المسجد الجامع فى أردستان 447- 450هـ/ 1055- 1058م (لوحة 9)[49]، ومنطقة انتقال القبة الكبيرة فى المسجد الجامع بأصفهان والتى شيدها نظام الملك 473هـ/ 1080م (لوحة 11)، وفى العقود التى تحملها، وكذلك فى منطقة انتقال القبة الصغرى فى نفس الجامع، وفى قبة جامع زواره 555هـ/ 1160م[50].

ويعد العقد المدائني الذى يزين مدخل المدرسة المقدمية بحلب 564هـ/ 1169م أقدم العقود التى شيدت بمداخل عمائر الشام، يليها عقد مدخل الخانقاة الصالحية بالقدس 585هـ/ 1189م، ومدخل المدرسة المسعودية بديار بكر 595هـ/ 1198- 1199م، يليها العقد المنفذ أعلى أحد المداخل بالضلع الشمالي لقلعة دمشق 614هـ/ 1217م[51]، وانتقل هذا النوع من العقود إلى مدينة طرابلس بعد سقوطها فى يد السلطان المنصور قلاوون فظهرت بالمدخل الرئيسى للمدرسة البرطاسية قبل 725هـ/ 1324م (لوحة 10)، والعقد مزخرف بزخارف الأبلق.

---

46. إبراهيم محمد أبو طاحون، السمات المعمارية، ص 538- 539 .

47. محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1990م، ص 102.

48. محمد سيف النصر أبو الفتوح، مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة الدينية والمدنية، مخطوط رسالة ماجستير- غير منشورة، كلية الآثار- جامعة القاهرة، 1975م، ص 61.

49. Camilla Edward, The Evolution of the shouldered Arch,p. 73.fig.4.

50. حسام طنطاوى، التأثيرات المعمارية والفنية، ص 232.

51. Michael H. Burgoyne, The Development of the Trefoil Arch, Proceedings of a Symposium held in Edinburgh in 1982 "The Art of the Saljuqs in Iran and Anatolia", California, 1994,p.227.

5- الخط الكوفي الهندسي:

هو نوع من أنواع الخط الكوفي الذى أبدع فيه الخطاط المسلم، ويتسم بخطوطه شديدة الاستقامة التي تؤلف أشكال زوايا قائمة، كما يتميز بأنه يؤلف تكوينات زخرفية على هيئة مستطيل أو دائرة أو شكل سداسي أو ثماني أو يؤلف شكلا معمارياً يشبه (الكابولي) وهو ما يعرف بالكوفي المعماري[52].

ونظراً للأشكال الهندسية التى نفذ بها هذا النوع من الخط أطلق عليه اسم "الكوفي الهندسي الأشكال" ومن أمثلته:الكتابات الكوفية الهندسية المستطيلة "الكوفي المستطيل"، الكتابات الكوفية الهندسية المربعة "الكوفي المربع"، الكتابات الكوفية الهندسية المثلثة "الكوفي المثلث"، الكتابات الكوفية الهندسية المخمسة "الكوفي المخمس"، الكتابات الكوفية الهندسية المسدسة "الكوفي المسدس"، الكتابات الكوفية الهندسية المثمنة "الكوفي المثمن"، الكتابات الكوفية الهندسية النجمية "الكوفي النجمي"، الكتابات الكوفية الهندسية المستديرة "الكوفي المرتب داخل دائرة"[53].

وقد كان لايران السبق فى ابتكار هذا النوع من الخط الكوفي خاصة المربع، الذى كثر استعماله فى زخرفة معظم المنشآت الإيرانية على مر العصور الإسلامية، فلا تكاد تخلو منشأة من عدة نصوص كتابية منفذة بهذا الخط[54]، ويغلب الظن على أن أصل هذا النوع من الخط مأخوذ من وسيلة الزخرفة بالطوب الأحمر أو الآجر المختلف الحرق فى عمارة المساجد فى إيران والعراق، بوضع قوالب الطوب فى أوضاع مختلفة أفقية ورأسية، بحيث تنشأ منها أشكال هندسية جميلة، والتى تعرف باسم "الهزارباف" أو "الحزرباف"، ثم استخدم وشاع فى زخرفة المساجد وغيرها من الأبنية، وقد ساعدت طبيعة الخط الزخرفية البحتة على ذلك[55]، ويرى د/ زكى حسن أن الخط الكوفي الهندسي مأخوذ فى الأصل من رسوم الأختام الصينية وماعليها من كتابات زخرفية الشكل[56].

ومن أقدم الأمثلة الباقية للخط الكوفي الهندسي كتابات قبة نظام الملك فى المسجد الجامع بأصفهان (473هـ/ 1080م) وبها آيات من سورتي الشرح والإنسان[57]، بالإضافة إلى الكتابات الباقية بمنارة الملك الغزنوى

---

[52]. مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية منذ القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة (7- 18م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1991م، ص 55.

[53]. سامى أحمد عبد الحليم، الخط الكوفي الهندسي المربع حلية كتابية بمنشآت المماليك فى القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1991م، ص 21- 24.

[54]. حسام طنطاوى، التأثيرات المعمارية والفنية، ص 281.

[55]. سامى أحمد عبد الحليم، الخط الكوفى الهندسى المربع، ص 46- 47.

[56]. زكى محمد حسن، الصين وفنون الإسلام، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص 55.

[57]. حسام طنطاوى، التأثيرات المعمارية والفنية، ص 281.

مسعود الثالث (492- 509هـ/ 1098- 1115م) والتى تعد أقدم النصوص التى تتضمن عبارات تاريخية منفذة بالخط الكوفي الهندسي المربع[58].

إلى جانب الآيات القرآنية والنصوص التاريخية التى نفذت بهذا النوع من الخط، فقد شاع استخدامه أيضاً فى كتابة اسم النبى "محمد" وأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة "أبو بكر، عمر، عثمان، على"، حيث جاءت العبارة السابقة محصورة فى شكل هندسي مربع، ومن أمثلة ذلك حشوة مربعة موجودة على قاعدة المئذنة الواقعة على يمين المدخل فى مدرسة جيفته فى ارضروم 671هـ/ 1271- 1272م (لوحة 12) حيث نفذت الزخارف بقوالب من الآجر المزجج بالمينا باللون الأزوق الفيروزي، فى حين يزخرف قاعدة المئذنة الواقعة على يسار المدخل لفظ الجلالة "الله" مكرر أربع مرات داخل منطقة مربعة الشكل، ويلاحظ فى المثال الأخير أن كلمة محمد كتبت مرتين، ولم يقتصر استخدام الخط الكوفي المربع على زخرفة العمائر فقط، بل اعتبر فى ذلك العصر عنصرا زخرفياً عاماً شاع استعماله على فنون زخرفية أخرى[59].

وكانت بداية ظهور هذا الخط خلال العصر المملوكي فى مصر قبة المنصور قلاوون (683-684هـ/ 1284- 1285م) (لوحة 13) وقبة زين الدين يوسف 725هـ/ 1325م حيث نقش اسم محمد فقط، فى حين ظهر تطور جديد لهذا الخط فى مدرسة السلطان حسن 764هـ/ 1362م بكتلة المدخل فزخرف الجانب الأيمن عبارة " لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، وفى الجانب الأيسر كتب اسم الرسول والخلفاء الراشدين الأربعة (لوحة 14)[60]، إلا أن مدينة طرابلس الشام سبقت القاهرة فى ظهور أشكال وعبارات جديدة منفذة بالخط الكوفي الهندسي لم تظهر بمدينة القاهرة حتى نهاية العصر المملوكي، فزخرف عتب النافذتين الثانية والرابعة بالواجهة الجنوبية للمدرسة القرطائية (716- 726هـ/ 1316- 1325م) بلفظ الجلالة واسم الرسول وأسماء العشرة المبشرين بالجنة بالخط الكوفي الهندسي المثمن (لوحة 15)، كما زخرف عتب المدخل بالمدرسة البرطاسية قبل 725هـ/ 1324م بأربع لوحات: اللوحة اليمنى على هيئة مربع منفذ عليها بالحفر البارز اسم "محمد" أربع مرات بالخط الكوفي الهندسي المربع (لوحة 16)، واليسرى على هيئة مربع منفذ عليها بالحفر البارز اسم "على" أربع مرات بالخط الكوفي الهندسي المربع، فى حين توسط العتب دائرتان منفذ بداخلهما اسم "على" ست مرات بالخط الكوفى الهندسى المسدس، وظهر هذا الشكل مره أخرى أعلى مدخل الحمام النورى أيضاً، فى حين زخرف أعلى مدخل جامع طينال 736هـ/ 1336م بلفظ الجلالة واسم الرسول وHسماء العشرة المبشرين بالجنة بالخط الكوفي الهندسي المربع (لوحة 17)[61].

---

58. Blair S., Islamic Inscriptions, Edinburgh University Press, 1988, p.82.

59. منى محمد بدر، أثر الحضارة السلجوقية، الجزء الثانى "العمارة"، ص 154- 155.

60 . J. M. Rogers, Seljuk Influence on Monuments, p. 64.

61. محمد محمد مرسى على، الكتابات الأثرية بعمائر مدينة طرابلس الشام فى العصر المملوكى 688- 922هـ/ 1289- 1516م "دراسة تحليلية مقارنة"، مخطوط رسالة دكتوراة، كلية الآداب- جامعة حلوان، 2013م، ص 252.

ومما سبق يتضح أن مدينة طرابلس قد تأثرت بطريقة مباشرة بإيران فى تنفيذ الخط الكوفي الهندسي، فظهرت أنواع من الخط الكوفى الهندسى لم تظهر بمصر، مثل الخط الكوفى الهندسى المسدس، كما كان لطرابلس السبق في ظهور بعض الأنماط الأخرى للخط الكوفي الهندسي قبل القاهرة، كالخط الكوفى الهندسى المثمن، والذى ظهر بالزيادة التى أضافها الأمير عبد الرحمن كتخدا للجامع الأزهر في العصر العثماني، علاوة على ذلك فإن ظهور الخط الكوفي الهندسى المربع بمدينة طرابلس كان أكثر تطورا عنه بالقاهرة، لا سيما فى عصر دولة المماليك البحرية.

ثانياً: العناصر المعمارية والفنية التركية:

تأثرت عمارة طرابلس بالعديد من العناصر المعمارية والفنية التركية ومن أهمها:

1- الجشمة:

الجشمة لفظ فارسي الأصل معناه عين جارية أو نبع أو ينبوع، ينطق أيضاً تششمه، ويطلقه الأتراك على صنبور الماء الجاري لخدمة الناس[62]، وهى عبارة عن حنية حائطية ذات عقد مدبب تكسى من الأمام ببلاطات من الرخام، وتزوق بالنقوش فقط أو بالنقوش والكتابات أحياناً، ويخرج الماء من صنابير تنفذ في بلاطات التكسية[63]، وكان الهدف من الجشم التوسع فى فعل الخير من جانب صاحبه فجعلوه للفقراء من قاطني الأجواء الحارة لتزويدهم وتزويد منازلهم بالماء، ولكن بطريقة مقننة غالباً ما تكون فى قلل وأباريق وبراميل[64].

وقد تعددت المسميات التى أطلقت على هذا النوع من المنشآت الخاصة بتوزيع الماء، ويرجع هذا التنوع إلى عاملين مهمين، الأول: إختلاف المسميات لاختلاف البلد التى أنشئت فيه مثل سبيل، سبيل مصاصة، سلسبيل، جشمة، الأحواض. الثانى: شكل وتخطيط المنشأة، وقد أطلق لفظ "سبيل" على هذا النوع من المنشآت بمدينة طرابلس على الرغم من بنائها على طراز الجشمة التركية.

انتشر بناء الجشمة فى العصر السلجوقى ببلاد الأناضول، إذ كان بها عددٌ ضخمٌ من الجشم التى تدل على مدى اهتمام السلاطين بها[65]، وتعد الجشم بواجهة رباط ألارا (Alara) الذى بناه السلطان علاء الدين كيقباد على أول طريق أنطاليا- قونية سنة 626هـ/ 1232م على يسار المدخل أقدم جشمة باقية[66]، أما الجشم الموجودة على جانبي مدخل مجمع الوزير السلجوقي صاحب عطا بمدينة قونية (لوحة 18) فتعد أقدم النماذج

62. مرفت محمود عيسى، الجشمة دراسة وثائقية أثرية، مجلة كلية الآداب- جامعة طنطا، المجلد الأول، العدد العشرون- يناير 2007م، ص 264.

63. أوقطاى آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة/ أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1987م، ص 235.

64. محمود حامد الحسينى، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة 1517- 1798م، مكتبة مدبولى، القاهرة، 1988م، ص 74.

65. منى محمد بدر، أثر الحضارة السلجوقية، الجزء الثانى "العمارة"، 138.

66. مرفت محمود عيسى، الجشمة، ص 264.

الزخرفية للأسبلة السلجوقية التى تبنى على هيئة حنية عميقة فى واجهة المبنى وترجع إلى عام 656هـ/ 1258م[67].

ويعد سبيل التينة بمدينة طرابلس الشام (لوحة 19) الذى بناه محمد بن زين الدين مبارك شاه عام 816هـ/ 1413م على يسار واجهة الحمام الجديد[68] خارج بوابة الحدادين فى الطريق المؤدي إلى جامع طينال أقدم جشمة باقية بمدينة طرابلس الشام، وهى عبارة عن دخلة معقودة بعقد مدبب يتصدرها صنبور الماء، الذى يعلوه لوحة رخامية مسجل عليها النص التأسيسي، وكان يوجد أسفل السبيل حوض ردم حديثاً، وهذا التأثير السلجوقي على عمارة الأسبلة بطرابلس يسبق ظهور الجشمة بمدينة القاهرة التى لم تعرف إلا فى العصر العثمانى، وأقدم مثال باقٍ لنا حتى الآن هو الحجر المصُاصة بسبيل أمين أفندى هيزع سنة 1056هـ/ 1646م[69].

2- المحاريب:

المحراب من العناصر المعمارية المهمة فى العمائر الإسلامية، ويوجد نوعان منها بعمائر مدينة طرابلس الشام فى العصر المملوكي، المحاريب المجوفة والمحاريب المسطحة[70]، كما تميزت المحاريب بعقودها المتنوعة والتى تأثر بعضها بالمحاريب التركية.

المحاريب ذات العقود المفصصة (المحارية أو المشعة)

امتازت المحاريب بعمائر سلاجقة الروم بفخامتها وبتصميمها المشابه لتصاميم المداخل، فمعظم المحاريب كانت بهيئة حنايا مجوفة تعلوها طاقية مقرنصة، يدور حولها عدد من الأشرطة الزخرفية، وعلى عكس هذه الفخامة نجد محاريب مساجد خانات سلاجقة الروم تتميز بالتواضع الشديد والبساطة، فهى حنيات بسيطة يتوجها عقد مدبب، أو نصف مستدير، أو عقد مقرنص، ويخلو المحراب من أى نوع من الزخرفة، وهذا النوع من المحاريب يشبه محراب مسجد خان كند آمير Kandemir (لوحة 20) الموجود بطريق قونية- بيشهير وهو عبارة عن حنية مضلعة، تعلوها طاقية محارية (أشكال مشعة)[71]، وهذا المحراب يتشابه إلى حد كبير مع محراب جامع عبد الواحد المكناسي بمدينة طرابلس 705هـ/ 1305م (لوحة 21) وهو عبارة عن تجويف نصف دائري مضلع تتوجه طاقية محارية ذات اشعاعات، ويمكن ملاحظة التشابه الكبير بين تصميم المحرابيين، ويمكن

---

67. أوقطاى آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص235؛ مرفت محمود عيسى، الجشمة، ص 264.

68. الحمام الجديد، هو حمام يقع بسوق الحدادين يستند بواجهته الرئيسية على الجامع المعلق، يرجع بناؤه إلى العصر العثماني، ويطلق عليه هذا الاسم تمييزاً له عن الحمام القديم الذى بناه المماليك من قبل فى هذا المكان. إبراهيم محمد أبو طاحون، الحمام الجديد بمدينة طرابلس الشام من العصر العثماني دراسة أثرية معمارية، دراسات وبحوث فى عمارة طرابلس الشام، مكتبة الحكمة، القاهرة، 2014م.

69. محمود حامد الحسينى، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، ص 71.

70. إبراهيم محمد أبو طاحون، المدارس المملوكية، ص 138.

71. هالة محمد أحمد، عمائر مدينة قيصري، ص 362- 365.

إرجاع ذلك إلى ما ذكره د/ عمر تدمرى أن هذا المسجد كان فى الأصل خانًا يملكه أحد النصارى واشتراه الشيخ عند الواحد المكناسي عند قدومه إلى طرابلس وحوله إلى مسجد[72]، ويبدو أن الشيخ عبد الواحد بعد تحويله إلى مسجد احتفظ بعناصرة المعمارية القديمة ولم يغير فيه شيئًا، لذلك نجد أن المحراب متأثر بشكل كبير بمحاريب الخانات السلجوقية.

هذا الشكل من المحاريب لم ينتشر فقط فى محاريب الخانات ولكنه استخدم أيضاً فى بعض محاريب المساجد الكبيرة، ولكن كان فى هذه الحالة ينفذ بشكل مركب مثل محراب المسجد الجامع بدنيصير DunaysirUluCami 601هـ/ 1204م[73] (لوحة 22)، والذى وجد ضمن عقوده عقدان مفصصان بشكل مرتد، السفلي منهما على هيئة محارية مشعة، كما ظهر هذا الشكل بتجويف يزين الواجهة الشرقية للمسجد الجامع بديار بكر[74] (لوحة 23)، وبتجويف محراب جامع خوند خاتون بمدينة قيصرى 635هـ/ 1238م[75] (لوحة24) حيث شغل تجويف المحراب أسفل العقد المدبب بثلاثة حنايا رأسية متجاورة يتوج كلاً منها عقد مفصص على هيئة محارية أو مشعة.

3- الأقبية:

تنوعت الأقبية المستخدمة بعمائر مدينة طرابلس فى العصر المملوكى مابين القبو المتقاطع، القبو المدبب، والقبو المروحي الذى تتوسطه قبيبة مفصصة صغيرة، وتميزت هذه العمائر بغلبة استخدام هذا النوع من

---

[72]. عمر عبد السلام تدمرى، تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس فى العصر المماليك، مطبعة دار البلاد- طرابلس، الطبعة الأولى، 1974م، ص 115.

[73]. مدينة دنيصر تقع فى جنوب غرب مدينة ماردين وشمال سوريا، بدأ انشاء هذا الجامع عام 580هـ/ 1184م وتم الإنتهاء منه عام 601هـ/ 1204م، على يد أرتوق ارسلان، وهذا المسجد يعد مثالا فريدًا من العمارة الأرتقية بالأناضول حيث يوضح الأساليب المعمارية التى اتبعتها فى تشييد عمائرهم.

Bakir, .mür, A study on the use of Brickbonds in Anatolian Seljuk Architecture, M.E.T.U. Journal of the Faculty of Architecture, Vol.5, No.2, 1980, P.331.

[74]. اختلفت الآراء حول تاريخ بناء هذا المسجد حيث يصفه الرحالة ناصر خسرو خلال رحلته 540هـ/ 1146م، ولكن هذا الوصف يختلف عن الوصف المعماري للمسجد حالياً، مما يدل على أن المسجد أعيد بناؤه مره أخرى، كما أن هناك شريطين من الكتابة الكوفية يزينان الواجهة الغربية للجامع السفلي المؤرخ بعام 511هـ/ 1117- 1118م، والعلوي المؤرخ بعام 518هـ/ 1124- 1125م، وهناك تاريخ بالواجهة الشرقية 559هـ/ 1163- 1164م، ويرجح كريزويل أن هذه الأشرطة قد نقلت من مبانى أخرى وثبتت فى هذا المكان.

K. A. C. Creswell, Mardin and Diyarbekr, Muqarnas, Vol. 15 (1998), P. 8.

[75]. يقع هذا المسجد بمدينة قيصرى بوسط الأناضول، وهو ضمن مجموعة ماه برى خاتون (خوند خاتون) 624- 669هـ/ 1226- 1270م، وتعد هذه المجموعة من أهم المجموعات المعمارية الإسلامية بالأناضول، فهي واحدة من أقدم المجموعات المعمارية التى شيدها سلاجقة الروم، وتتكون من مسجد جامع، مدرسة، ضريح، وحمام يتقدم المجموعة، وتنسب المجموعة إلى الأميرة ديستينا Destina ابنة الحاكم كيرفارد Ker Fard حاكم قلعة كالونوروس Kalonoros، منحها كيقباد لقب ماه برى لجمالها ورقتها، وهى تعد أولى زوجاته وأم ابنه كيخسرو. هالة محمد أحمد، عمائر مدينة قيصري ، ص 46- 48.

التغطية بالإضافة إلى القباب بدلاً من استخدام الأسقف الخشبية[76]، وقد ظهرت بعض التاثيرات التركية مثل الأقبية الأناضولية.

الأقبية الأناضولية

كان للمعماريين الشاميين الفضل فى ابتكار وتطوير المثلثات الكروية منذ القرن الرابع الميلادي وذلك مع الاتساع فى استعمال القباب وأنصافها، إذ استعملوها للانتقال بالمساحات المربعة إلى مناطق مستديرة ترتكز عليها الحافات السفلية من القباب، وخرجت هذه الفكرة من بلاد الشام وانتشرت فى جميع البلاد المجاورة لها[77].

ونظراً للتجاور بين بلاد الأناضول والشام فقد تأثر المعماريون الأناضوليون بهذا الفكر مع تطويره بمشاركة تأثير آخر وفد إلى الأناضول من سلاجقة إيران فظهرت الأقبية المروحية الأناضولية والتى تميزت بالأرجل الرشيقة ذات قطب محدود الاتساع، والتى استخدمت لذاتها كقبو مستقل، وهي بذلك تتميز عن أصولها الشامية التى تميزت بقِصر الأرجل واتساع القطب والتى كانت تستخدم كمنطقة انتقال للقباب[78].

وقد نفذ معماريو الشام هذا النمط الأناضولي المطور بشكله الرشيق فى كثير من عمائرهم، وكان أوائل ظهوره بدركاة المدخل الرئيس لمدرسة الخيرية حُسن بطرابلس 716هـ/ 1316م حيث ينتهي القبو من أعلى بقبيبة صغيرة ثمانية الفصوص، كما ظهرت بدرقاعة نفس المدرسة ولكنها تركت مفتوحة دون قبيبة للإضاءة (لوحة 26)، كما ظهرت بدركاة مدخل المدرسة البرطاسية بطرابلس قبل 725هـ/ 1324م (لوحة 25) وانتشرت بعد ذلك فى باقى المدن الشامية ومصر[79].

---

[76]. إبراهيم محمد أبو طاحون، السمات المعمارية، ص 538.

[77]. فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ص 139.

[78]. مصطفى نجيب، دراسات فى الأقبية والأحقاق المروحية بمصر والشرق الأدنى فى العصر الوسيط، دار كتابات للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013م، ص 24.

[79]. مصطفى نجيب، دراسات فى الأقبية والأحقاق المروحية، ص 26– 27.

الخاتمة

يتضح من دراسة التأثيرات الإيرانية والتركية على العمائر بمدينة طرابلس الشام فى العصر المملوكي بعض النتائج منها:

– مع تهدم المدينة القديمة اندثرت معظم المنشآت المعمارية التى تعود إلى عصور سابقة، ولم يتبق أي إرث معماري يستند إليه المعماريون فى تشييد عمائرهم، أدى ذلك إلى فتح المجال فى العصر المملوكيى لظهور طابع معماري جديد للمدينة يعتمد في تكوينه على التأثيرات المختلفة الوافدة عليها.

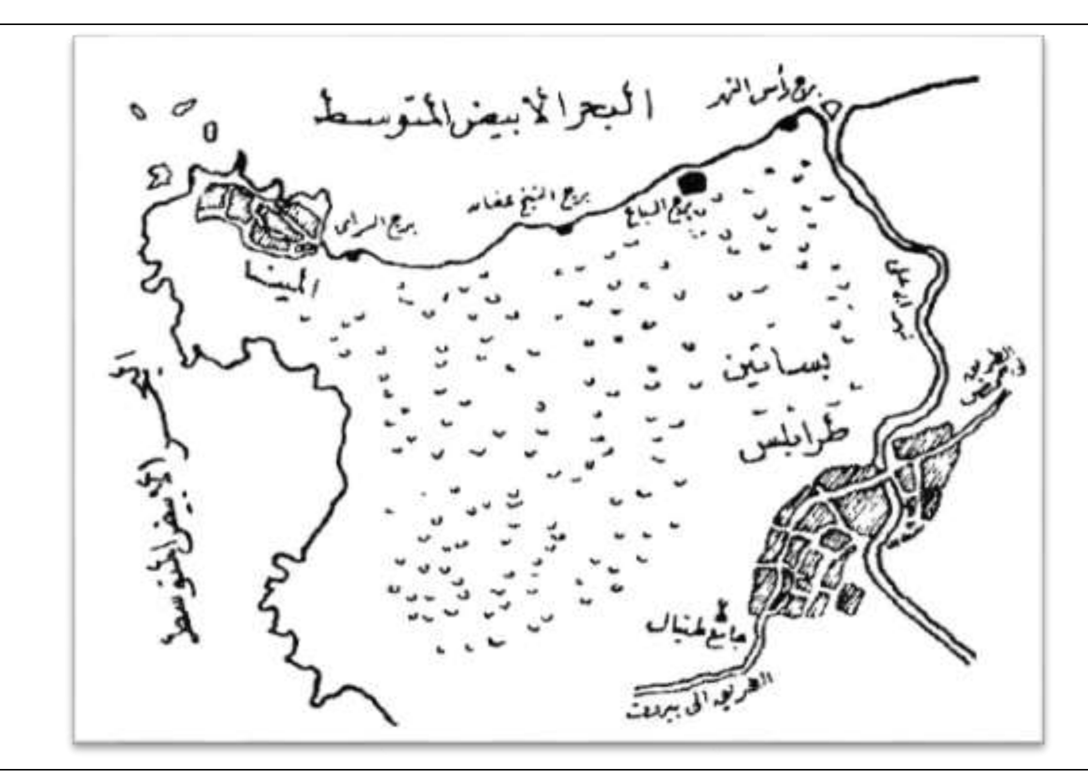
– كان لانتقال الفنانيين والصناع الشاميين دورٌ كبيرٌ فى انتقال التأثيرات السلجوقية لمدينة طرابلس، فوقوع المدن الشامية تحت حكم السلاجقة كان له الفضل فى اندماج العناصر المعمارية السلجوقية مع مثيلتها السورية وانتقالها إلى مدينة طرابلس فى العصر المملوكي على أيدي المعماريين والفنانيين السوريين، الذين وردت أسماؤهم على عمائر طرابلس مثل سالم الصهيوني ابن ناصر الدين العجمي من مدينة صهيون بحمص، وهو المشرف على بناء الجامع المنصوري الكبير، وأبو بكر بن البصيص البعلبكي من مدينة بعلبك، وهو المهندس المشرف على بناء جامع العطار، والمعلم محمد الصفدي من مدينة صفد وهو نجار جامع طينال.

– انتقلت بعض التأثيرات الإيرانية والتركية بشكل مباشر إلى مدينة طرابلس، وظهرت أمثلتها على عمائرها قبل ظهورها على عمائر مصر مثل ظهور الخط الكوفي الهندسي المسدس والمثمن، فعلى الرغم من أن ظهور الخط الكوفي الهندسي المربع على عمائر مصر أقدم من ظهوره على عمائر طرابلس، إلا أن الكوفي الهندسي المسدس والمثمن أسبق فى الظهور على عمائر طرابلس من عمائر القاهرة فى العصر المملوكي.

– ظهرت الأمثلة الأولى للأقبية الأناضولية التى طورها المعماريون بالأناضول بمدينة طرابلس بمدرسة الخيرية حُسن قبل ظهورها فى باقي المدن الشامية، وقبل ظهورها بالقاهرة أيضاً، كما كانت الجشمة المنفذة بمدينة طرابلس الشام فى العصر المملوكي أقدم من الجشم المشيدة بالقاهرة والتى لم تظهر سوى بالعصر العثماني.

– كان لعمائر مدينة القاهرة الفضل فى ظهور بعض التأثيرات الإيرانية والتركية على عمائر مدينة طرابلس، فظهر التأثر بعمارة المدرسة، القبة المزدوجة والعقد المدائني تأثراً بمدينة القاهرة .

– كانت مدينة ديار بكر من المدن المهمة فى انتقال التأثيرات التركية إلى بلاد الشام، حيث كانت حلقة اتصال بينهم، وقد ظهر العديد من الأساليب المعمارية الفنية التركية بمدينة ديار بكر وانتقلت بعد ذلك إلى مدن الشام، فظهرت بمدينة طرابلس بعض هذه التأثيرات التى عبرت من خلال ديار بكر مثل المحاريب ذات الطاقية المحارية المشعة.



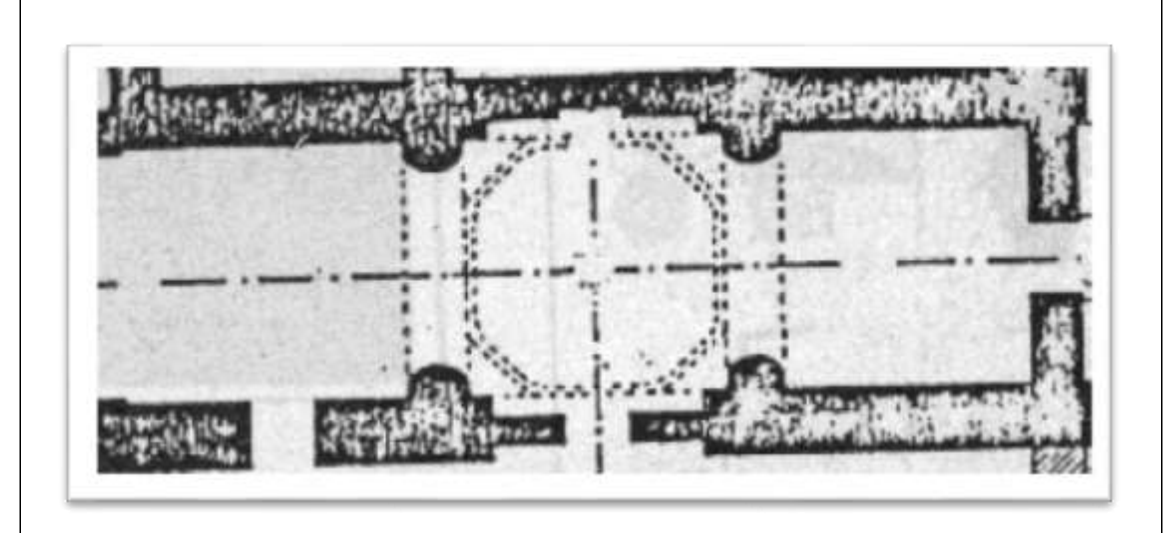
لوحة (1) خريطة مدينة طرابلس فى العصر المملوكي

السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،1966م، خريطة 2

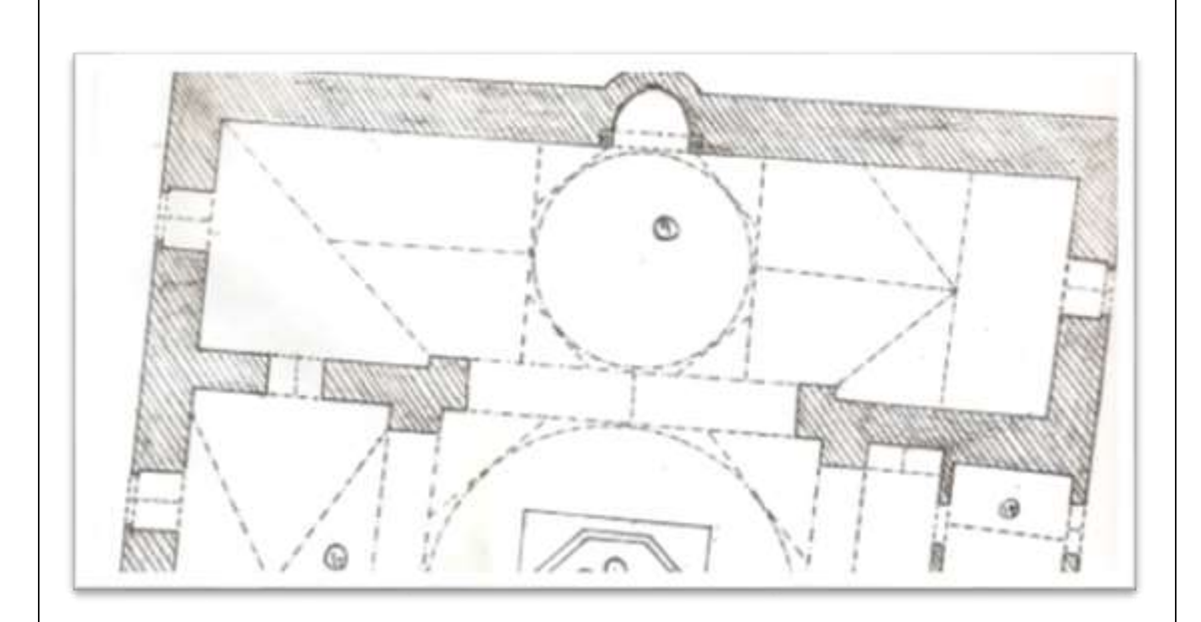


لوحة (2) خريطة مدينة طرابلس موزع عليها مواقع المدارس المملوكية

إبراهيم محمد أبو طاحون، المدارس المملوكية فى طرابلس الشام وتطورها "دراسة معمارية أثرية"، مخطوط رسالة ماجستير- غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، 1996م، شكل 31.

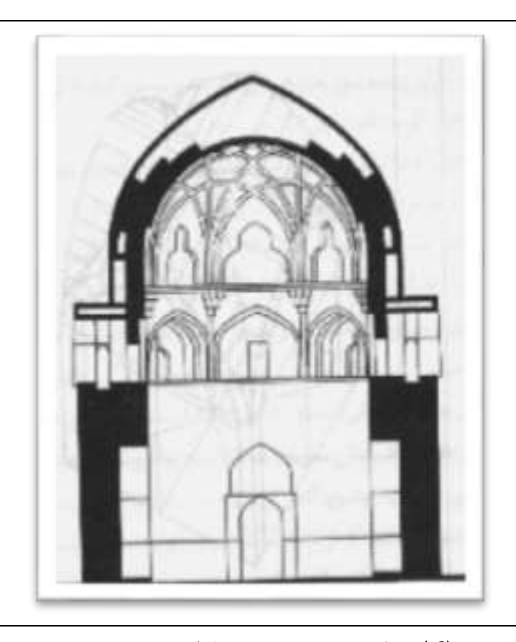
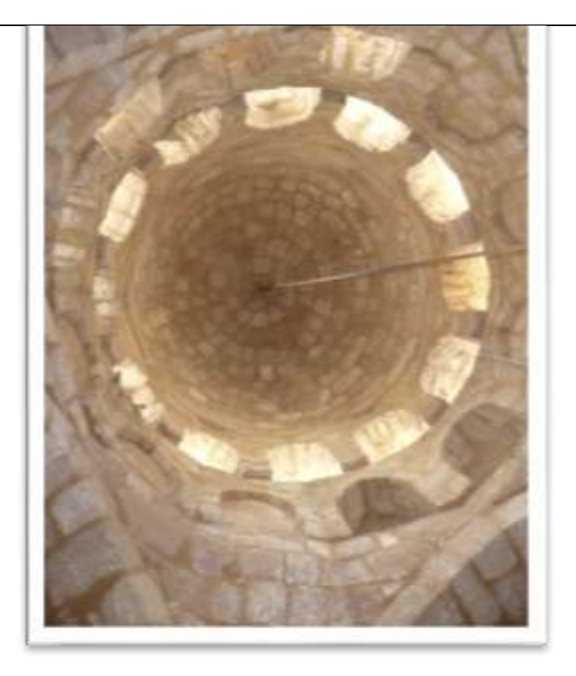


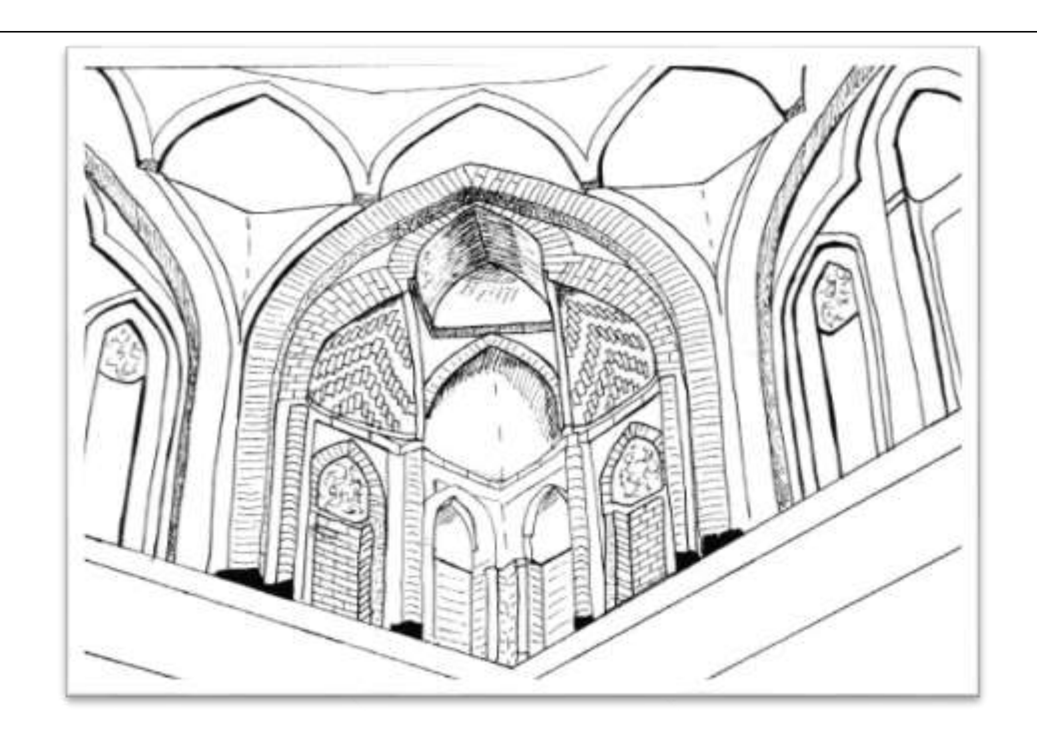
لوحة (3) تخطيط ظلة القبلة بجامع المحمدية بإيران.حسام طنطاوى، التأثيرات المعمارية والفنية، ص 191، شكل53.



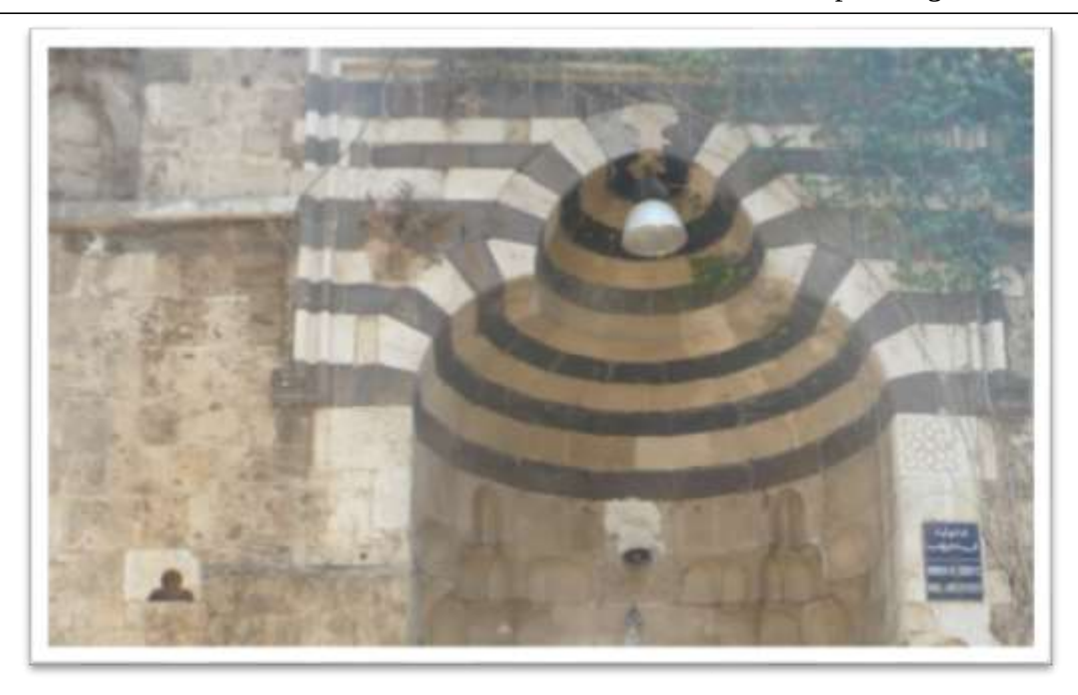
لوحة (4) تخطيط إيوان القبلة بالمدرسة البرطاسية بمدينة طرابلس الشام

ابراهيم محمد أبو طاحون، المدارس المملوكية، شكل 16

	
لوحة (5) قبةجامع گلبايگان حسام طنطاوى، التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين مصر وإيران، مخطوط رسالة دكتوراة- غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس، 2010م، لوحة 93.	لوحة (6) قطاع قبة مدفن السلطان سنجر فى مرو حسام طنطاوى، التأثيرات المعمارية والفنية، ص 212، شكل52.
	
لوحة (7) قبة جامع عبد الواحد المكناسى بمدينة طرابلس من الخارج.(تصوير الباحث)	لوحة (8) قبة جامع عبد الواحد المكناسى بمدينة طرابلس من الداخل (تصوير الباحث)



لوحة (9) منطقة انتقال قبة المسجد الجامع باردستان
Camilla Edward, The Evolution of the shouldered Arch, p.73. fig.4.

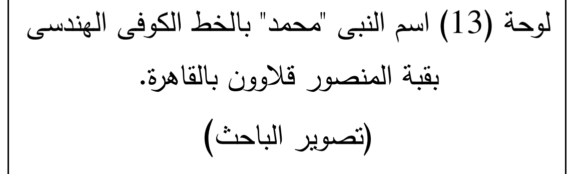


لوحة (10) العقد المدائني بمدخل المدرسة البرطاسية بمدينة طرابلس الشام
(تصوير الباحث)

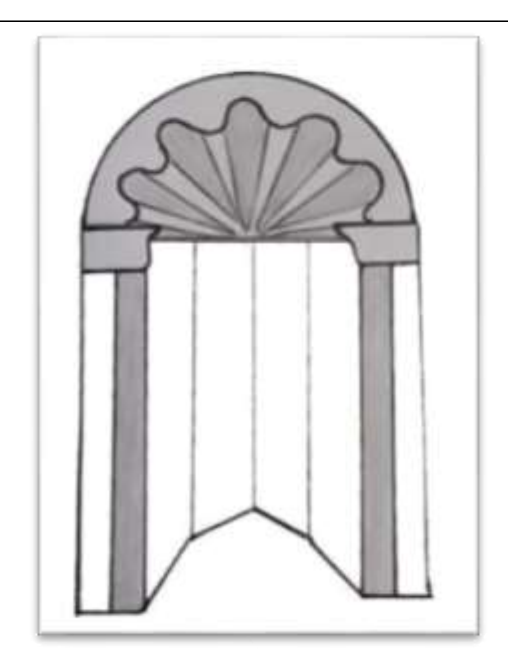


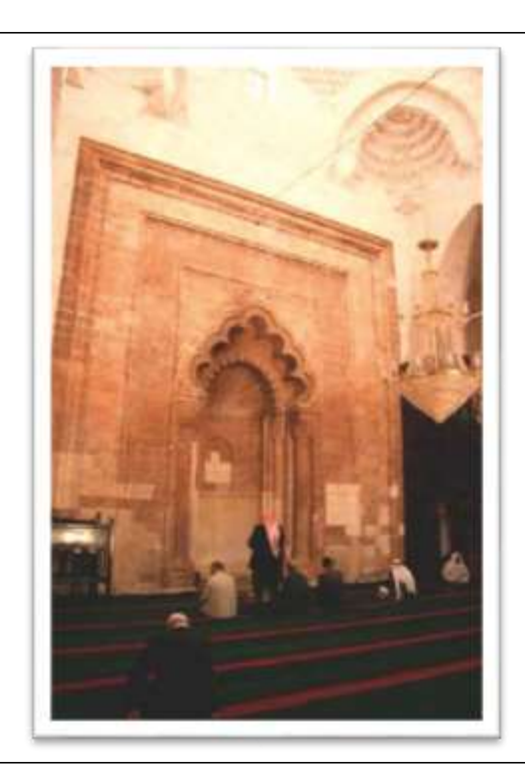
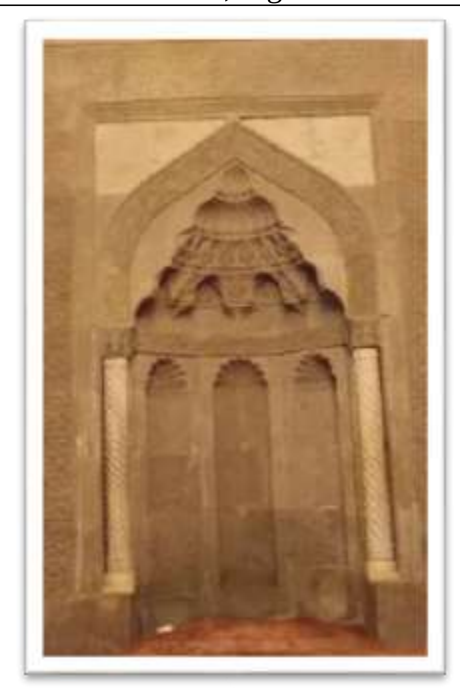
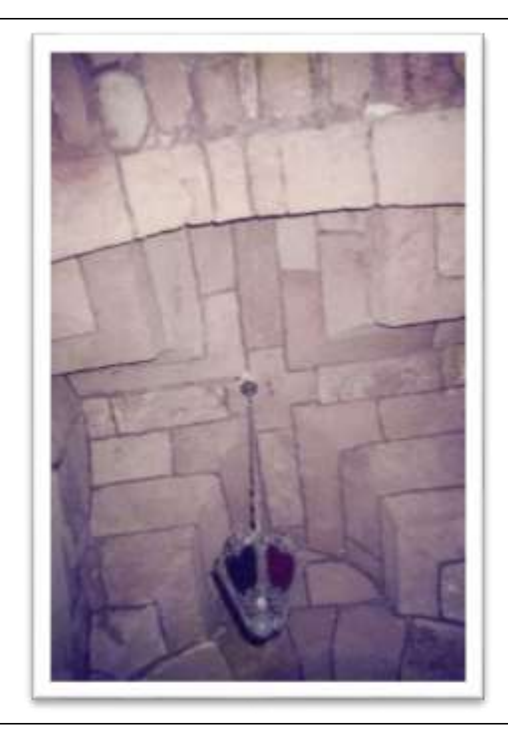
لوحة (11) منطقة انتقال القبة الشمالية بجامع اصفهان

Camilla Edward & David Edward, The Evolution of the shouldered Arch in Medieval Islamic Architecture, Architectural History, Vol. 42 (1999), P. 78. Fig.7.

	
لوحة (12) اسم النبى "محمد" وأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة "أبو بكر، عمر، عثمان، على" بالخط الكوفى الهندسى على قاعدة المئذنة الواقعة على يمين المدخل فى مدرسة جيفته فى ارضروم. http://www.mustafacambaz.com /details.php?image_id=30956&sessionid =e5eaba4390760b15a953c6a6e40420a5	 لوحة (13) اسم النبى "محمد" بالخط الكوفى الهندسى بقبة المنصور قلاوون بالقاهرة. (تصوير الباحث)

<table dir="rtl">
<tr>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>لوحة (14) اسم النبى "محمد" وأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة "أبو بكر، عمر، عثمان، على" بالخط الكوفى الهندسى على يسار مدخل مدرسة السلطان حسن بالقاهرة.
(تصوير الباحث)</td>
<td>لوحة (15) اسم النبى وأسماء العشرة المبشرين بالجنة منفذة بالخط الكوفى الهندسى المثمن أعلى النافذة الثانية بالواجهة الجنوبية للمدرسة القرطائية بطرابلس الشام. (تصوير الباحث)</td>
</tr>
<tr>
<td colspan="2"></td>
</tr>
<tr>
<td colspan="2">لوحة (16) اسم النبى "محمد" واسم "على" بالخط الكوفى الهندسى المربع والمسدس أعلى مدخل المدرسة البرطاسية بمدينة طرابلس الشام. (تصوير الباحث)</td>
</tr>
<tr>
<td colspan="2"></td>
</tr>
<tr>
<td colspan="2">لوحة (17) اسم النبى وأسماء العشرة المبشرين بالجنة منفذة بالخط الكوفى الهندسالمربع أعلى مدخل جامع طينال بمدينة طرابلس الشام. (تصوير الباحث)</td>
</tr>
</table>

	
لوحة (18) الجشمة على يسار مدخل مجمع الوزير السلجوقى صاحب عطا بمدينة قونية. Carl D. Sheppard, Byzantine Carved Marble Slabs, The Art Bulletin, Vol. 51, No. 1 (Mar., 1969), Fig. 5.	لوحة (19) سبيل التينة بمدينة طرابلس الشام (تصوير الباحث)
	
لوحة (20) قطاع رأسى محراب مسجد خان كند آمير هالة محمد أحمد، عمائر مدينة قيصرى إبان عصر سلاجقة الروم،رسالة دكتوراة- غير منشورة، كلية الآداب- جامعة حلوان، 2015،ص 365، شكل 98.	لوحة (21) محراب جامع عبد الواحد المكناسى بمدينة طرابلس الشام. (تصوير الباحث)

	
لوحة (22) محراب المسجد الجامع بمدينة دنيصر Bakir, .mür, A study on the use of Brickbonds in Anatolian Seljuk Architecture, M.E.T.U. Journal of the Faculty of Architecture, Vol.5, No.2, 1980, P.335, Fig. 4.	لوحة (23) حنية بالواجهة الغربية لجامع ديار بكر Mehmet Top, Diyarbakir UluCamiiVeMustemilati, MedeniyetlerMirasi Diyarbakir Mimarisi, 2011, P.198, Foto. 15.
	
لوحة (24) محراب جامع خوند خاتون بمدينة قيصرى هالة محمد أحمد، عمائر مدينة قيصرى، لوحة 27.	لوحة (25) قبو يغطى دركاة مدخل المدرسة البرطاسية بمدينة طرابلس الشام. إبراهيم أبو طاحون، المدارس المملوكية، لوحة 84.



لوحة (26) قبو يغطى دورقاعة مدرسة الخيرية حُسن بمدينة طرابلس الشام

إبراهيم أبو طاحون، المدارس المملوكية، لوحة 16.